

مجمع الأمثال

146 - إِنَّ الْعَصَا قُرْعَتٌ لِذِي الْحِلْمِ .

قيل : إن أول من قُرْعَت له العصا عمرُ بن مالك بن ضُبَيْعَة أخو سعد بن مالك الكِنَانِي وذلك أن سعداً أتى النعمان بن المنذر ومعه خيل له قادهَا وأخرى عَرَّاهَا فقليل له : لم عَرَّيت هذه وقُدَّت هذه ؟ قال : لم أقد هذه لأَمْنَعَهَا ولم أعر هذه لأَهَبَهَا . ثم دخل على النعمان فسأله عن أرضه فقال : أما مَطَرُهَا فغَزِيرٌ وأما نَبَاتُهَا فكثير فقال له النعمان : إِنَّكَ لَقَوَّالٌ وَإِنْ شئتُ أَتيتُكَ بما تَعْبِيَا عن جوابه قال : نعم فأمر وصيفاً له أن يَلَطِّمَهُ فَلَطَّمَهُ لَطْمَةً فقال : ما جواب هذه ؟ قال : سَفَرِيهِ مَأْمُورٌ قال : اللَطْمَةُ أخرى فَلَطَّمَهُ قال : ما جوابُ هذه ؟ قال : لو أَخَذَ بِالْأُولَى لم يعد للآخرى وإنما أراد النعمان أن يتعدَّى سعد في المنطق فيقتله قال : الطمة ثالثة فَلَطَّمَهُ قال : ما جواب هذه ؟ قال : رَبٌّ يُؤدِّبُ عبده قال : اللَطْمَةُ [ص 38] أخرى فَلَطَّمَهُ قال : ما جواب هذه ؟ قال : مَلَاكَتَ فَأَسْجَحُ فَأرسلها مثلاً قال النعمان : أَمَدَيْتَ فَا مَكُتٌ عِنْدِي وَأَعْجِبْهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَمَكَّتْ عِنْدَهُ مَا مَكَّتْ . ثم إنه بَدَا للنعمان أن يبعث رائداً فبعث عمراً أخا سَعْدٍ فأبطأ عليه فأغضبه ذلك فأقسم لئن جاء دَامِماً لَلْكَلَأِ أو حَامِداً له لَيَقْتُلَنَّهُ فَقَدِمَ عمرو وكان سعد عند الملك فقال سعد : أَتَأْذَنُ أَنْ أُكَلِّمَهُ ؟ قال : إِذَنْ يَقْطَعُ لِسَانُكَ قال : فَأَشِيرْ إِلَيْهِ ؟ قال : إِذَنْ تَقْطَعُ يَدُكَ قال : فَأَقْرَعْ لَهُ الْعَصَا ؟ قال : فَاقْرَأْهَا فَتَنَاولَ سَعْدُ عَصَا جَلِيسِهِ وَقَرَعَ بِعَصَاهُ قَرْعَةً وَاحِدَةً فَعَرَفَ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُ : مَكَانُكَ ثُمَّ قَرَعَ بِالْعَصَا ثَلَاثَ قَرَعَاتٍ ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَمَسَّحَ عَصَاهُ بِالْأَرْضِ فَعَرَفَ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُ : لَمْ أَجِدْ جَدّاً بَاً ثُمَّ قَرَعَ الْعَصَا مَرَاراً ثُمَّ رَفَعَهَا شَيْئاً وَأَوْمَأَ إِلَى الْأَرْضِ فَعَرَفَ أَنَّهُ يَقُولُ : وَلَا نَبَاتَاتَاً ثُمَّ قَرَعَ الْعَصَا قَرْعَةً وَأَقْبَلَ نَحْوَ الْمَلِكِ فَعَرَفَ أَنَّهُ يَقُولُ : كَلِّمَهُ فَأَقْبَلَ عمرو حتى قام بين يدي الملك فقال له : أَخْبِرْ نَبِيَّ هَلْ حَمَدْتَ خِصْبُهَا أَوْ ذَمَمْتَ جَدّاً بَاً ؟ فقال عمرو : لَمْ أَذَمَّ هُزْلاً وَلَمْ أَحْمَدْ بَقْلاً الْأَرْضُ مُشْكِلَةٌ لَا خِصْبُهَا يَعْرِفُ وَلَا جَدُّبُهَا يوصف رَائِدُهَا وَاقِفٌ وَمُنْكَرُهَا عَارِفٌ وَآمَنْهَا خَائِفٌ . قال الملك : أَوَلَيْ لَكَ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ يَذْكُرُ قَرَعَ الْعَصَا : . قَرَعَتْ الْعَصَا حَتَّى تَبَيَّنَ صَاحِبِي ... وَلَمْ تَكُ لَوْ لَا ذَاكَ فِي الْقَوْمِ تُقَرَعُ . فقال : رَأَيْتُ الْأَرْضَ لَيْسَ بِمُحِلٍّ ... وَلَا سَارِحَ فِيهَا عَلَى الرَّعْيِ يَشْبَعُ . سَوَاءٌ فَلَا جَدُّبٍ فَيَعْرِفُ جَدُّبُهَا ... وَلَا صَابِيَهَا غَيِّثُ غَزِيرٍ فَتُمْرَعُ . فَذَجَّيْ بِهَا حَوْوَاءً نَفْسٍ كَرِيمَةٍ ... وَقَدْ كَادَ لَوْ لَا ذَاكَ فَرِيهِمْ تَقْطَعُ . هذا قول بعضهم . وقال آخرون في قولهم " إِنَّ الْعَصَا قَرَعَتْ لَذِي الْحِلْمِ " : إِنَّ ذَا الْحِلْمِ هَذَا

هو عامر بن الظَّـرِّبِ العَدُوَّاني وكان من حكماء العرب لا تَعْدِلُ بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً فلما طَعَنَ في السن أنكر من عقله شيئاً فقال لبنيه : إنه قد كبرتْ سِنِّي وعرض لي سَهْوٌ فإذا رأيتُموني خرَّجْتُ من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المَجَنَّـةَ بالعصا وقيل : كانت له جارية يقال لها خويلة فقال لها : إذا أنا خُولِطْتُ فاقرعي لي العصا وأُتِيَ عامر بِخُنْذَلَى ليحكم فيه فلم يَدْر ما الحكم فجعل ينحَر لهم ويُطعمهم ويدافعهم بالقضاء فقالت خويلة : ما شأنك ؟ قد أتلُفْتَ مالك فخيرها أنه لا يدري ما حكم الخنثى فقالت : أَتَبِعُهُ مَبَالَه . قال الشعبي : فحدثني ابن عباس بها [ص 39] قال : فلما جاء A بالإسلام صارت سنة فيه .

وعامر هو الذي يقول :
أرى شَعَرَاتٍ على حَاجِبَيَّ ... بيضاً نبتن جميعاً تُوَامَا .
طَلَلْتُ أَهَاهِي بهنَّ الكلا ... بَاحْـسَبْهُنَّ صَوَاراً قِيَامَا .
وَأَحْسَبُ أَزْفِي إذا ما مَشَيْ تَشْخَصاً أمامي رأني فقاما .
يقال : إنه عاش ثلثمائة سنة وعو الذي يقول :
تقول ابنتي لما رأنتي كأنني ... سَلِيمُ أَفَاعٍ ليله غير مودع .
وما الُمَوْتُ أفناني ولكن تتابعَت ... على سِنُونٍ مِنْ مَصِيفٍ ومَرَبَعٍ .
ثَلَاثُ مِئَتَيْنِ قد مَرَرْنَ كَوَامِلًا ... وها أنا هذا أرتجي مَرَّ أَرَبَعٍ .
فأصبحتُ مثلَ الذَّسْرِ طَارَتْ فَرَاخُهُ ... إذا رام تَطْيَاراً يقال له : قَع .
أُخْبِرَ أَخْبَارَ القرونِ التي مَضَتْ ... ولا بدَّ يوماً أن يُطَارَ بِمَصْرَعِي .
قال ابن الأعرابي : أول من قرعت له العصا عامر بن الظَّـرِّبِ العَدُوَّاني وربيعه تقول :
بل هو قيس بن خالد بن ذي الجَدِّـيْنِ وتميم تقول : بل هو ربيعة بن مُخَاشِنِ أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم واليمن تقول : بل هو عمرو بن حُمَـمَةَ الدوسي .

قال : (ذكر المجد في (ص ح ر) أنها أخت لقمان وتعقبوه وذكر هو نفسه في (ح ك م) أنها بنت لقمان وقد ذكر في الموضع الثاني حكام العرب وزاد عن ذكرهم المؤلف هنا فارجع إليه إن شئت) وكانت حكام تميم في الجاهلية أَكْثَمُ بن مَصِيفِي وحاجب بن زُرَّارة والأقرع بن حابس وربيعه بن مُخَاشِنِ وضَمْرَةٌ بن ضَمْرَةٍ غير أن ضمرة حكم فأخذ رِشْوَةً فغَدَرَ . وحُكَّام قَيْس : عامر بن الظَّـرِّبِ وَغَيْـلَان بن سَلَمَةَ الثَّقَفِي وكانت له ثلاثة أيام : يوم يحكم فيه بين الناس ويوم ينشد فيه شعره ويوم ينظر فيه إلى جماله وجاء الإسلام وعنده عشر نسوة فخيرهن النبي A فاختر أربعاً فصارت سنة . وحكام قريش : عبدُ المطلب وأبو طالب والعاصي بن وائل . وحكيما العرب : مُحَرُّ بنت لقمان (ذكر المجد في (ص ح ر) أنها أخت لقمان وتعقبوه وذكر هو نفسه في (ح ك م) أنها بنت لقمان وقد ذكر في الموضع

الثاني حكام العرب وزاد عن ذكرهم المؤلف هنا فارجع إليه إن شئت) و هند بنت الخُسَّ
وجمعة بنت حابس وابنة عامر بن الظَّـرِّبِ الذي يقال له " ذو الحلم " قال المتلمس يريده
:

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَا ... وَمَا عَلَّمِ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَ .
والمثل يضرب لمن إذا نُبِّئَ انتبه . [ص 40]